إشكالية القيم في الدراما التلفزيونية بين مرجعيات المجتمع والإبداع الفني

The problem of values in TV drama between community references and artistic creativity

مريم شيخة براهيمي *	أ.د كريم بلقاسي
جامعة الجزائر 3	جامعة الجزائر 3
chikhabrahimi.meriem@univ-alger3.dz	belkaci.karim@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2020/03/24 تاريخ القبول: 2021/03/14

الملخص

تبحث هذه الدراسة إشكالية القيم في الدراما التلفزيونية ومدى توافقها في الاعتماد على المرجعيات الدينية والثقافية والوضعية في عملية بناء المحتوى الفني وممارسة الإبداع، الذي يتصادم مع بعض المرجعيات. ما قد يعرضه لسلطة الرقابة من جهة أو الرفض من قبل المتلقي من جهة أخرى، لتقف الدراما التلفزيونية أمام رهان الحفاظ على القيم أو حرية الابداع والمتخيل الفني. وبين هاذين التوجهين، يحاول هذا البحث إيجاد سياق يربط بينهما، من خلال مقاربات وبراديغمات إعلامية تفسر الظاهرة وتقيم الحجة على هذا الجدل. باعتبار هذا الصراع حالة صحية لأي مجتمع يسعى للتغيير، وبضرورة استقلالية الفن عن أي ايديولوجيات بهدف تحقيق إبداع قيمي يحقق القبول والرضى لدى المؤسسات الاجتماعية والمتلقي.

الكلمات المفتاحية: القيم، الدراما التلفزيونية، المرجعية، الإبداع، الفن

Abstract

This study examines the problem of values in TV drama and their compatibility in relying on religious, cultural and situational references. in the process of building artistic content and practicing creativity, that collides with some references. Which may expose it to the control authority on the one hand, or rejection by the receiver on the other hand. to stop the TV drama in front of a bet Preserving values, or freedom of creativity and artistic imagination. And between these two approaches, this research attempts to find a context that connects them through media approaches and paradigms, that explain the phenomenon and find the solution to the necessity of the independence of art from any ideologies. In order to achieve valuable creativity, that achieves acceptance and Satisfied with the social institutions and the receiver.

Keywords: : **Values, TV Drama, Reference, Innovation, Art**

* **المؤلف المرسل**: مريم شيخة براهيمي ، **الإيميل**: meriem.chikha@gmail.com

مقدمة

تعد الدراما التلفزيونية أحد اهم البرامج التي تستقطب قطاعات عريضة من الجماهير نظرا لحضورها القوي عبر مختلف القنوات العربية والشبكات البرامجية، خاصة وأن حركة الفن الدرامي بدا انتاجه متسارعا في العالم العربي منذ ثمانينيات القرن الماضي.

والمتتبع لتطور الدراما سيلحظ أن هذا النوع من البرامج أصبح صناعة قائمة بحد ذاتها الى جانب ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية و تندرج بذلك ضمن ما يسمى بالصناعات الثقافية ، فيخصص لها ميزانيات ضخمة ومواقيت بث محددة بالذروة وهو توجه تزداد أهميته لدى المشرفين على هذه الصناعة نظرا لزيادة الاقبال الجماهيري عليها وأهميتها لدى المتلقي خاصة وأنها عرفت مؤخرا توجها غير نمطي طبقا لمقتضيات التغيرات الحاصلة في عالم صناعة الفنون من حيث التقنيات والمضامين وأيضا من حيث التغيرات الثقافية الحاصلة في البيئة المحلية التي يستمد منها المشرفين على الدراما مواضيع الانسان .

والمتلقي يرى في هذا النوع من الفنون شيئا ما من واقعه المعقد ، فيميل لها كونها تعبر عن قيمه وأفكاره وتساعده على تكوين وجهات نظر في الحياة والتعامل مع المشكلات التي يواجهها ، الى جانب ذلك ، فهي تقدم قيما وأفكارا جديدة وبصورة فنية إبداعية سهلة الاستهلاك من خلال ابراز شخصيات و مواقف يتعايش معها المتلقي فيتقمصها أحيانا ويتأثر بها او يرفضها أحيانا أخرى ، وهنا يحدث التصادم ومدى بلوغ ونجاح الرسالة التي يريد القائم بالاتصال توجيهها فيقف أمام رهان توصيل أفكاره وإقناع المشاهد بها بأسلوب إبداعي دون المساس بالمرجعيات الدينية والخصوصية الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها.

ان ضرورة الإلتزام بالقيم وثوابت المجتمع في عملية البناء القيمي للدراما التلفزيونية يشكل احد أهم الإشكاليات الحاصلة في مجال الفنون عموما ، ويعتبر حجر تعثر تجاه من يتبنى مفاهيم ومبادئ الحرية والإبداع الفني والإنساني وهو ما تعانيه الساحة العربية الفنية على هذا الصعيد الذي لا ينطلق من خلفية دينية فقط وإنما تتداخل عدة عوامل سياسية وثقافية وإقتصادية فيجد المتحكمون في هذا المجال انفسهم امام عقدة التجديد والابداع التي تراها الأطراف الأخرى لا تتوافق مع الاصالة الثقافية والمرجعيات الحضارية لهذا المجتمع، ما يقع على عاتق القائم

بالاتصال المسؤولية الاجتماعية في بناء قيم مضامين الدراما التلفزيونية، وبالتالي نجد انفسنا امام توجهين :

الأول : يرى أن الدراما التلفزيونية يجب ان تكون في خدمة قيم المجتمع السائدة والثابتة دون الاخلال بمقوماته الثقافية والدينية

الثاني : يرى أن الدراما التلفزيونية من واجبها خلق سياقات قيمية جديدة تساهم في تجديد مرجعيات المجتمع ومسلماته توافقا مع تغيرات العصر ، وهنا تحدث الممارسة الإبداعية الفنية

ومن خلال هذه المفارقة التي تبحث فيها إشكالية بحثنا سنحاول في هذا المقال بحث مدى إمكانية توافق الإلتزام القيمي في الدراما التلفزيونية وتحقيق الابداع الفني في حال ما اعتبرنا أن الابداع في حد ذاته احد عناصر القيم في حياة الأفراد والمجتمعات .

ولأن بحثنا يصنف ضمن الدراسات الكيفية النظرية التي هي عبارة عن " بحوث تعتمد على الواقع ولا تستند اليه كما أنها لا تلجأ الى استخدام الملاحظة أو التجربة في أية مرحلة من المراحل المكونة لها وتعتمد على التأمل النظري للبحث والاستدلال العقلي المحض (عبد المجيد إبراهيم، 2000، صفحة 33) فإنه بذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي " يرتكز على وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة او موضوع محدد " (عبيدات، أبو نصار، و مبيضين، 1999، صفحة 46) حيث ومن خلال الاشكال المطروح حاولنا وصف ظاهرة إبداعية في شكلها ذات مضامين وابعاد قيمية تطرح جدلا واسعا وصراعا حول واقع الممارسة الإبداعية في الدراما التلفزيونية من حيث (البناء ، القيم ، وطبيعة الطرح) وحتمية علاقتها بمعايير المجتمع ومرجعياته وقيمه (الدينية ، الثقافية ، الوضعية).

وللوصول الى طبيعة هذه العلاقة وواقعها حاولنا الاستناد على مقاربات ونماذج نظرية (إعلامية _ سوسيولوجية) وإسقاطها على الحالة الإبداعية المسماة بالدراما التلفزيونية مستعرضين بأمثلة في المنطقة العربية والجزائر بتحليل ابستمولوجي تأويلي واستقرائي *، حيث يعتبر **موريس آنجرس** النموذج النظري " مجموعة من المرجعيات النظرية والتطبيقية الخاصة بميدان معرفي

* _ توظيف هذه المقاربات يهدف الى تفسير وظائف وسائل الاعلام والدراما كقالب فني في احداث التغيير في المجتمعات ودور الرقيب في توجيه هذه الاحداثيات للحفاظ على النظام الاجتماعي الذي يتعرض للصراعات بين القائم بالاتصال من جهة والمؤسسات الاجتماعية والمتلقي من جهة أخرى وبالتالي محاولة الربط بين القيم والابداع في الدراما .

معين ... تسمح بامتلاك نظرة خاصة حول الواقع وحول الأحداث " (آنجرس، 2006، صفحة 100) وتتمثل هذه المقاربات والبراديغمات في :

- المنظور الوظيفي لوسائل الإعلام
- حارس البوابة الإعلامية
- النموذج السوسيولوجي في الصراع الاجتماعي

1_ المنطلق المفاهيمي لموضوع البحث

1_1 القيم : تكمن معرفة مفهوم القيم الى التعرف على الخلفيات الثقافية لكل مجتمع وكيف تختلف من بيئة الى أخرى ويرتبط بهذا الاختلاف القيم من حيث عوامل النشأة والتطور ، يقول **ماكس فيبرMax Weber في مفهوم القيم** انها " أسلوب حياة لدى الفرد أو الجماعة ذات طابع متماثل ، تعطي للموجودات وطرائق الحياة صفة المرغوب فيه والمستحسن وهي بذلك جزء تجريدي يدعو الأفراد للإنخراط فيه واحترامه وجزء مادي مجسد يظهر في الأشياء وطرائق الحياة التي تعبر عنها" (Guy, 1982, p. 56) ونأخذ من هذا التعريف أنه هناك مجال أن يكون للفرد قيمه الخاصة التي ينظم ويسير بها حياته كما أن القيم معنوية في ظاهرها وبطانها تظهر في سلوك الجماعات والافراد .

يبقى تحديد مفهوم القيم خاضع للتراتبية والنسبية حسب أهميتها للمجتمعات أو الفرد الواحد داخل الجماعة، فالرؤية الذاتية للقيم تجعل ما قد يكون لقيمة العلم مثلا لدى أحد افراد الجماعة هو الأعلى في سلم القيم بينما تراها جماعات أخرى في درجة أقل وتعلوه سلطة المال أو الأعراف والعادات والتقاليد.

من رؤية إعلامية، جاء مفهوم القيم عند الباحث **عبد الرحمان عزّي:** " يقصد بالقيمة الارتقاء، أي ما يسمو في المعنى، والقيمة معنوية وقد يسعى الانسان الى تجسيدها عمليا كلما ارتفع بفعله وعقله الى منزلة أعلى ... القيمة ما يعلو عن الشيء ويرتبط بالمعاني الكامنة في الدين، قوله تعالى " ذلك الدين القيّم " وقوله " فيها كتب قيمة ". وفي هذا التعريف يمثل الدين احد مرجعيات تحديد القيم.

1_2 الدراما التلفزيونية: يعرف **ارسطو** الدراما على أنها " محاكاة للبشر من خلال فعل، حيث يتبين أن الفعل لا الكلمة هو الذي يعد صلب الدراما وخير دليل على ذلك (شابلن)

و(ميكي ماوس) اللذان غزوا العالم دون كلمة واحدة ينطق بها اللسان " (عزي، 2016، صفحة 10). كما أنها " شكل يعتمد على عمل روائي أو درامي طويل ومتشابك الأحداث ، ومتعدد الشخصيات ، حتى يستطيع كاتب النص أن يعده في حلقات متواصلة كل منها ينتهي بعقدة مشوقة تقود الى حلقة تالية ، وهذا يشمل المسلسل 7 أو 13 أو 15 أو 30 حلقة أو اكثر" (الحلواني حسين و مهني، 1999، صفحة 157).

وكان ظهور هذا الفن مرتبط بالمسرح في بداياته ، ومع نشأة وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية والتكنولوجيات الحديثة والبث الفضائي انتقلت الدراما من المسرح الى الإذاعة والسينما ثم التلفزيون ، كوسائل مبهرة تجذب انتباه المستمعين والمشاهدين ، ويعد التلفزيون أكثر الوسائل التي لا يمكن الاستغناء عن استعماله في الحياة اليومية ويشكل أحد أهم مصادر المعلومات والمعرفة والترفيه بامتياز ، وهو وسيلة لا يستهان بها حيث " يعتبر التأليف للتلفزيون أو الإعداد له من اشق ضروب الكتابة وأعقدها ، فهو يستلزم من كاتبه أو معده فضلا عن بديهية التمكن من أسس الدراما وقواعدها العامة ، يستلزم كثيرا من الموهبة والاطلاع ، والمعرفة الكاملة بإمكانيات التلفزيون كوسيط " (النادي، 1987، صفحة 244) ، وبالتالي فإن القائم على هذه الوسيلة عليه ان يدرك طبيعة تصميم الرسالة التلفزيونية ليس انطلاقا من أن **الوسيلة هي الرسالة** كما افترضها مارشال ماكلوهان ، وانما **الرسالة هي القيم** كما قدمها عزي عبد الرحمان في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام .

1_3 مرجعيات المجتمع : تتخذ المجتمعات الإنسانية مرجعياتها من الثقافة المتراكمة المحيطة بها وتكون حائزة على ثقة الجميع أو الأكثرية ممن يرون فيها الفصل في بناء صيغ تحقق المصلحة العامة من دون فوارق ، والمجتمعات العربية تتخذ من الدين أولى المصادر في بناء مرجعياتها الى جانب العادات والتقاليد وأيضا القوانين الوضعية ، وفي تعريف المرجعية يقول الدكتور **عبد الوهاب المسيري** " بأنها مجموعة القيم والمفاهيم النهائية والكلية التي تستند إليها رؤية ما " (أحمد الزيدي، 2010، صفحة 117) وفي تعريف آخر هي " العقيدة التي يؤمن بها الشخص أو المقياس والميزان الذي يستعمله في موازنة الأشياء (برغل ، 2018) .

1_4 الابداع الفني : يحتاج النشاط الإنساني دائما في كل المجالات الى الابداع ، يقول **ألكسندرو روشكا Alexandru Rushka**" ان الشكل الأساسي لعلاقة الانسان بالعالم الخارجي هو النشاط ، بينما الشكل الأساسي للنشاط الإنساني هو العمل في مجالاته المتعددة :

في عمل العامل ، والفنان ، والعالم ، والسياسي ، والمفكر ، والمهندس ...الخ، وفي هذه المجالات المتنوعة من النشاط يظهر الإبداع ويتجلى " (روشكا، 1978، صفحة 6) و الإبداع في أبسط تعريفاته هو " استنباط فكرة جديدة بالنسبة لك " (جومان ، 2010، صفحة 19) ويمكن ان نضيف أنه أيضا فكرة جديدة بالنسبة للمجتمع ككل خاصة اذا ما مس المجالات التي تنتفع منها البشرية ، فهناك الابداع العلمي الذي يؤدي الى اكتشاف الجديد في العلم والاحاطة بقوانين الطبيعة والنظريات والنظم التي تجدد في حياة الانسان ، وكذلك هو الابداع الفني الذي يميل الى خلق صور جمالية لتقديمها للمتلقي كأحد أشكال بناء واقع الانسان او الوصول به الى الحقيقة الفعلية لواقعه ، يقول **هايدجر Heidegger** : " ان العمل الفني يكشف وجود الواقع بطريقة خاصة به ويتحقق في الابداع هذا الكشف _ التجلي ، أي حقيقة الواقع " (روزين، 2011، صفحة 303) .

والابداع الفني هو تصور يتجاوز التقليد من فكرة النقل الى التجديد ، ومن اعتماد الفرد على نسق الجماعات كمصدر لعمله الفني الى ابتكار أنساق غير مألوفة للجماعات ، فيتخذون منها مصدرهم و يتفاعلون معها .

2_ موضوع القيم في الدراما التلفزيونية

2_1 القيم ومحتوى الدراما التلفزيونية من المنظور الوظيفي

يرى بعض المفكرون في العالم العربي ان الانشغال بقضايا تراجع القيم والأخلاق ونقد المنظومة القيمية هو اتهام يعرقل مسيرة العملية الإبداعية والفكرية في حياة الفرد وبالتالي توقيف مسار التغيير الاجتماعي الذي يتحرك بشكل سريع جدا ، وبدل قبول هذا التغيير كواقع حتمي بمرافقته مرافقة ناقدة متأنية تتوافق مع مميزات هذا العصر وتطوير مقترحات نابعة من مرجعية المجتمع من دون احداث الخلل فيه ، فان هناك من يلجأ الى الخطابات الوعظية كمقياس نقدي للقيم في تحديد فعاليتها وصلاحيتها دون الادراك بأن " القيم تختلف ، واختلافها يجعلها في حد ذاتها عرضة للأحكام الأخلاقية لذلك فصلاحية القيم ترتبط بما تحققه من غايات سواء كانت تلك الغايات بيولوجية أو إجتماعية ولأنها تختلف باختلاف المجتمعات ، فان الحكم على السلوك يكون من خلال وظيفته وهدفه وما يحققه لا من شكله ، اذن فالقيم تفهم من خلال ثقافتها لا من

خلال ثقافة أخرى أي من الداخل وليس من الخارج " (بن كعبة و أحمد مسعودي، 2018، صفحة 186) .

وبهذا ، فإن الدراما التلفزيونية تعد أحد اهم الفنون والوسائل التي يسند إليها وظيفة بناء القيم والأفكار والتغيير الاجتماعي الذي يعبر عن المشكلات المجتمعية والخصائص الإنسانية خاصة وأن التلفزيون يعتبر احد أهم وسائل الاتصال الجماهيرية التي تؤثر تأثيرا شاملا على المشاهد كوحدة اتصالية من خلال الحوار والصورة والحركة لتستفيد الدراما بذلك من هذا الانتشار الواسع للتلفزيون " وذلك ما يتفق مع أهداف المدرسة الاجتماعية في الفن والتحليل الوظيفي للإعلام ، حيث ان التمثيلية التلفزيونية ينبع موضوعها من العلاقات الدينامية بين الفرد والمجتمع " (أحمد علي، 2009، صفحة 186) .

ان مدرسة التحليل الوظيفي لوسائل الاعلام تنطلق من فكرة ان الوسيلة الإعلامية نظام اجتماعي قد يستند الى ظروف ثقافية واجتماعية في بناء المحتوى " وقد يكون لهذه الظاهرة تأثير إيجابي فيقال انها وظيفية وقد يكون لها تأثيرا سلبيا فيقال إن لها اختلالا وظيفيا " (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 125) و ويفترض **د.حسن عماد مكاوي** من خلال هذا المنظور أن دراسة المحتوى الاعلامي يخضع الى ثلاث درجات هي : " المحتوى الهابط ، المحتوى الذي لا يثير الجدل ، محتوى الذوق الرفيع " (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 129)، فكيف من الممكن أن تقدم الدراما التلفزيونية من خلال هذه الدرجات المحتوى القيمي ؟

المحتوى الهابط : ان المحتوى القيمي الهابط للدراما التلفزيونية قد يخلق ردود فعل سلبية من قبل الجمهور بالدرجة الأولى باعتباره احد اهم عناصر النظام الاجتماعي والذي تصنع له هذه المضامين بشكل مباشر ، وكثيرا ما يأخذ نقاد الدراما بعين الاعتبار آراء الجمهور في العمل الذي اصبح يظهر مؤخرا _ أي آراء الجمهور _ في مواقع التواصل الاجتماعي كفضاء عام يعبر فيه المتلقي عن طبيعة هذه المضامين ، فيرفض مثلا مشاهد الاثارة والاباحية التي يعتبرها قد تفسد الذوق العام والأخلاق والبيئة التي تحيط به ويراها انها لا تعكس واقعه ولا تمثل قيمه .

المحتوى الذي لا يثير الجدل : تحدد هذه الدرجة مستوى المضمون القيمي الدرامي الذي قد لا يثير جدل التساؤل لدى المشاهد ، كدراما السير الذاتية التلفزيونية التي تعرض مسار شخصيات فنية او علمية أو فكرية او تاريخية لها وزن في المجتمع ، فيجد المشاهد نفسه في حالة ركود مع هذه المضامين لأنها تنقل حياة الأفراد ومواقفهم تجاه قضاياهم الخاصة ، وهي مضامين لا تشكل

تهديدا على المستوى الأخلاقي والقيمي للمجتمع كونها لا تهدف الى طرح قيم معينة بقدر ما يأخذ منها المتلقي العبرة وإشباع الفضول عن الحياة الخاصة لهاته الشخصيات ، وكثيرا ما يحدث الجدل حول هذه الاعمال على مستوى الصحافة والمنتجين والأفراد وهو جدل يبعد عن مجال صناعة القيم ويقترب من مجال صناعة الحقائق والكشف عن الغموض لأن هذا النوع من الدراما التلفزيونية يتطلب قيمة الموضوعية أكثر من أي معيار آخر ، وعلى سبيل المثال لا الحصر لقي المسلسل التلفزيوني (أم كلثوم) نجاحا باهرا على مستوى العالم العربي من حيث المشاهدة لكنه في نفس الوقت دخل في صراعات كبيرة بن عائلة الفنانة والمنتجين حول الكثير من التفاصيل التي تمس حياتها ، وكذلك مسلسل في (حضرة الغياب) الذي تناول حياة الشاعر الفلسطيني محمود درويش حيث طالب عدد من المثقفين في فلسطين بتوقيف العرض كونه لم يكن موضوعيا ولا يرقى بمستوى ومكانة هذا الشاعر.

محتوى الذوق الرفيع : ان عروض الدراما التلفزيونية التي تناقش قضايا الاسرة والطلاق والميراث والعلم وانتصار الحق والخير... وغيرها تعد من المحتويات التي تساهم في رفع الذوق لدى المتلقي ، وهي التي تكون متشبعة بقيم الانسان لأنها تقدم نقلا هادفا لصورة ومواقف معينة من الحياة وهذا النوع من المضامين " يقدر على ربط خبرات الأفراد بالبناء الأخلاقي والقيمي ، وستكون قادرة على توسيع تعاطف المشاهدين وجذبهم بعيدا عن قيود الواقع ، لتقودهم الى رؤية متعمقة أعظم في العلاقات الاجتماعية بين الافراد من خلال الضحك والتشويق والتعاطف والإثارة " (عبد الحافظ، 2015، صفحة 132) .

2_2 قيم الدراما التلفزيونية وسلطة الرقابة (حارس البوابة)

لا يمكن للمنتج الإعلامي أن يصل في شكله النهائي الا ولا بد ان يخضع لسلطة الرقابة التي تمارس أحد أشكال " حراس البوابات" التي " تعني السيطرة على مكان استراتيجي في سلسلة الاتصال بحيث يصبح لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرار فيما سيمر من خلال بوابته ، وكيف سيمر حتى يصل في النهاية الى الجمهور المستهدف " (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 177) والدارما التلفزيونية بدورها تتعرض لمقص حارس البوابة وبما يدخل ويخرج من مضامين في رسالة المنتج الفني في عصر تبدو فيه الأخلاق وقيم المجتمعات ليست معيارا أمام قيم السوق القائمة على مبدأ من يرفع نسبة المشاهدة أكثر ويحافظ على سقفها خاصة وكما ذكرنا من قبل ان الدراما التلفزيونية تعد احد أشكال الصناعات الثقافية ، وهنا يأتي دور حارس البوابة

الذي يتأثر بعدة عوامل تحدد عمله والتي حددها **كرت ليوين** الى أربعة عوامل أساسية هي: (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002)

- معايير المجتمع وقيمه وتقاليده
- معايير ذاتية تشمل عوامل التنشئة الاجتماعية ، والتعليم والاتجاهات والميول والانتماءات والجماعات المرجعية
- معايير مهنية
- معايير الجمهور

ولكن قد يبقى دور حارس البوابة في فرض رقابته على المنتجات الإعلامية المتعلقة بمضامين الدراما التلفزيونية خاضع لخلفيات أخرى بعيدة عن المعايير التي حددها كرت ليوين ، وان سلمنا لمفهوم أن " الرقابة بالتعريف هي قوة مصادرة أو حجب ، تأخذ مشروعيتها من إدعائها حماية المجتمع من الجزع العام الذي يعود إليها تقديره والذي قد ينتج عن تعميم معلومة أو رؤية أو رأي على الجمهور الذي لا يستطيع تقدير أو معرفة أو احتمال هذا الطرح " (نصير ، 2009) كما ويعتبرها الباحث **نجيب نصير** " معاييرها مطاطة لا يمكن الإمساك بها كحالة حقوقية " (نصير ، 2009) خاصة في ظل غياب قائمة نصية محددة حول المسموح بطرحه والمرفوض لتتحول الرقابة بذلك مع الزمن الى وظيفة تربوية تحيل الإنتاج الفني عن العملية الإبداعية وهو الحاصل في الجزائر كنموذج في العالم العربي رغم ان الدراما الجزائرية بدأ ينتعش منسوب انتاجها بانفتاح قطاع السمعي البصري ورغم ذلك تتعرض لسلطة الرقابة السياسية خاصة ، ذلك عندما تم منع تصوير احدى الأعمال الرمضانية سنة 2018 المتمثلة في المسلسل الكوميدي "الرايس قورصو" الذي يحكي قصة بحارة في العهد العثماني ومسلسل " تلك الأيام " الذي تدور احداثه خلال العشرية السوداء في الجزائر وتداولت الصحافة العربية في " أنّ مؤسسات فنية تركية فشلت في إنتاج مسلسلين في الجزائر إثر تدخل السلطات التركية لمنع عرض مسلسلين قالت إن إنتاجهما مرتبط بحركة (خدمة) التي يتزعمها فتح الله غولن" (جريدة أحوال تركية، 2018) وتدخلت ردود فعل الجماهير الجزائرية في ضرورة طرح مثل هذه القضايا بدل المنع باعتبارها خطوة إبداعية وفنية جريئة تحاول كسر احدى طابوهات المجتمع.

وعلى هذا المثال ، فإن سلطة الرقابة السياسية _ كحارس للبوابة _ لم تؤدي دورها الفعلي في الحفاظ على قيم المجتمع أو الاستناد في ذلك الى مرجعيات الجماعة بل تجاوزت ان تدخلت

السياسات الأيديولوجية في فرض هيمنة المنع ، كما جاء معيار الجمهور من منظور حارس البوابة له دور في تحديد المحتوى الإعلامي حيث يذكر الباحثان **اثيل دي سولا بول Ethel de Soula Paul وشولمان Schulman** " أن الجمهور يؤثر على القائم بالاتصال مثلما يؤثر القائم بالاتصال على الجمهور ...وأظهرت الدراسات التجريبية التي عقدها **ريموند باور Raymond Power** أن نوع الجمهور الذي يعتقد القائم بالاتصال أنه يخاطبه له تأثير كبير على طريقة اختيار المحتوى وتنظيمه " (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 183)

ان الدراما التلفزيونية اذا ما طوعت نفسها على الرقابة وحراس البوابات الخاضعين _على الأغلب _ لمنطق السوق والسياسة وليس في الحفاظ على القيم السائدة في المجتمع، فإنها ستفقد بذلك آلتها الإبداعية الفنية وروح المغامرة وينحصر انتاجها في تلبية متطلبات فنية تخدم الأيديولوجيات والرقابة ذاتها ولكنها لا تخدم المتلقي كونها لا تحمل شيئا مغايرا له يصلح لواقعه وقيمه ، لذلك يجب على الفنان أن يمارس رقابته الذاتية على عمله الفني تجنبا لأي سلطة رقابية أخرى تمارس مهام المصادرة عليه .

3 _ براديغم الصراع الاجتماعي والدراما التلفزيونية كإبداع فني

يأتي براديغم الصراع الاجتماعي كمنظور للعملية الجدلية الفكرية التي تحدث داخل المجتمعات في الانتقال من حالة **التوازن الى التغيير**، ومن حالة **الركود الى التفاعل** ، حيث " يستخدم علماء الاجتماع نموذج الصراع الاجتماعي على نطاق واسع ، ويفترض أن الصراع وليس الاستقرار أو التطور، هو اهم العمليات الاجتماعية ، والفكرة هنا أن المجتمع يتكون من عناصر اجتماعية متصارعة " (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 116) حيث يعتبر أن المجتمع يتكون من فئات وجماعات من البشر تختلف مصالحهم بشدة ، وتحاول كل جماعة داخل هذا المجتمع تحقيق مصالحها الخاصة داخل اطار المنافسة مع الآخرين وبهذه الطريقة يتعرض المجتمع المنظم لصراع مستمر تحاول العناصر المكونة له تحقيق مكاسب جديدة أو الحفاظ على مكاسبها وبالتالي يظل الصراع موجودا في كل زمان ومكان ، وعملية التغيير مستمرة من ثنايا العملية الجدلية للمصالح المتنافسة والمتصارعة . (عماد مكاوي و حسن السيد، 2002، صفحة 181)

وقد تم تكريس هذا النموذج الماركسي في المجتمعات الغربية الحرة ، غير المقيدة باي مرجعية سوى مرجعيات التشريع او القيم العالمية ، وتولي أهمية بالغة للحرية الاجتماعية كأحد أهم اشكال القيم التي تكون حرية الأفراد جزءا منها مما يتحتم على المجتمع ككل احترامها كحق من حقوق المجتمع عليه وعلى غيره من الافراد الذين ينتمون لذات المجتمع ، وهو الاتجاه الذي يختلف كليا عن المجتمعات المشرقية العربية التي تعود للدين كأساس مهم في بناء مرجعياتها والى العادات والتقاليد وترى في أي صراع يقتحم عالمها إنما هو أحد اشكال الحيد عن توازنها الاجتماعي ، والتغير على مستواها يظل يرتبط دائما بالعودة الى مصادرها المقدسة او الوضعية حتى في بناء مفاهيم الحرية .

ورغم ذلك فان المجتمعات العربية تتجه منذ عقود نحو التحرر الفكري والعلمي بفعل تأثيرات وعوامل كثيرة من بينها تكنولوجيا الاعلام والاتصال التي حولت الكون اليوم الى شارع عالمي وليس الى قرية عالمية كما وصفها **مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan** في ستينيات القرن الماضي ، وهو ما يتجلى في العديد من القوانين والسياسات وإقتصاد السوق وأيضا الاعمال الفنية ، وبإسقاط هذا النموذج على الدراما التلفزيونية فإننا نجد أنفسنا في صراع جدلي حول مدى تمكين طرح الأفكار والقيم الفردية في قالب درامي من خلال وسيلة إعلامية تعد من بين اكثر الوسائل تأثيرا على الجمهور في مجابهة الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية واحترامها و عدم الخروج عن الجماعة وجغرافيتها الفكرية ، وكذلك حق الدراما التلفزيونية كقالب فني في سرد قضايا الانسان المعاصرة باسم الحداثة في مقابل حق المجتمعات في المحافظة على نسقها من الأفكار الدخيلة .

هذا النوع من الصراع الحاصل اليوم كأحد الظواهر الإعلامية الفنية اصبح يمارس فعل التغيير بأسلوب غير مباشر في المجتمعات العربية وخلق تنافس بين القائمين على الدراما التلفزيونية وبين المؤسسات الدينية والتشريعية حول من سينجح في تعديل الكثير من المفاهيم القيمية التي تساهم في تطور المجتمعات أو إبقاء هذه المفاهيم على ثباتها خوفا من الخرق أو صياغتها من جديد، وبالتالي يتحقق شيء ما من التغيير كحالة صحية لأي مجتمع.

ان صراع الدراما التلفزيونية كفن ابداعي مع القيم داخل المنظومة الاجتماعية اشكال مرتبط من واقع قديم عندما ظهرت الدراما في العصور اليونانية مرتبطة بالدين والاحتفال بالآلهة وبالتالي فان وظيفتها تقتصر على زرع الفضيلة ، واليوم الى جانب سيطرة السياسة والاقتصاد

تبدو القيم الإبداعية والجمالية مجرد تابع في خدمة المقدس ، كذلك فان مفاهيم الحداثة و الحرية المطلقة التي يستغلها هذا التيار في ممارسة الابداع الفني ينجم عنه مجرد لهو وترف يتقيد بسحر الاغواء (الجنس ، المال ، العنف ...الخ) وتتحول الدراما التلفزيونية حينها الى ممارسة لاستجابة تطلعات فردية بحتة لن تحتويها أي مؤسسة اجتماعية ، وبالتالي نحن أمام **صراع بين فن الفضيلة وفن التحرر** .

وبين هذان السياقان، فإنه يمكن العمل بسياق يجمع بينهما من خلال ضرورة استقلال الفن في حد ذاته عن الأيديولوجيات الدينية والسياسية والاقتصادية باعتبار أن " العمل الفني نسق قائم بذاته له نواميسه وقوانينه المتسمة بالرمزية والكلية " (بوحسين، 2015) – واستقلال الفن لا يعني بالضرورة استقلال القيم عنه _ التي يعتبرها المفكر عزي عبد الرحمان مصدرها الدين كأساس _ وبموجب هذا فان عملية الاستقلالية تصبح أداة للتفاعل مع منظومة القيم عامة ويصبح عمل الفنان الذي يتناول القيم في الدراما التلفزيونية بوصفها مادة إبداعية مرتبطة بالتجربة الجمالية التي تثري الخيال من خلال التواصل بين الإنتاج الفني الذي يعمل على طرحه بوسائل شتى وبين المتلقي محققا بذلك المتعة والقبول لدى المشاهد والمؤسسات الاجتماعية عامة ، فيتحقق بذلك شيء من **الإبداع القيمي** .

يقول الباحث والفنان **مسعود بو حسين** " في التجربة الفنية نحن في عالم المتخيل الذي يمنحنا قدرا كبيرا من الاحساس بالأمان وبالتالي القدرة على معايشة وقائع واحداث وصور قد تكون صادمة وغير مقبولة في واقع الحياة العادية الجارية، ونحن نقبلها في التجربة الفنية لا لسبب اخر سوى أنها ليست واقعا حقيقيا ، ولذلك فأخلاقيات الفن لا ينبغي خلطها بأخلاقيات الحياة اليومية ، لأن الفن يخرجنا من هذه الحياة نحو عالم المتخيل لكي ننسى أنفسنا كأفراد أنانيين ، إنه نوع من التعالي الاخلاقي الذي يعيد صياغة الواقع ولا ينقله كما هو لكي نعيد قراءته بشكل خلاق. " (بوحسين، 2015)

وبالتالي فان الحكم على موضوع القيم في الدراما التلفزيونية يجب ان ينطلق من أن الدراما في الأساس عمل فني يعتمد على الرمزية في تيماتها ولا يمكن أن نجزأ العمل الفني بل اعطاءه الحكم العام على كل جزئياته ، وبالتأثير والإستجابة الذي يثيره لأننا أمام عمل فني منح فرص مشاهدة احداث وشخصيات ووقائع عالم متخيل الهدف منه إثاره قضايا أخلاقية وقيمية من همها

إحداث التغيير والوعي دون المساس بالأخلاق بصورة جارحة ومتعمدة تعطي انطباعا لدى المتلقي أنه خارج حيز الفن المتخيل الى الواقع الذي يعيشه .

ويمكن ان نضيف بالقول برد الباحث **د.نصير بوعلي** حول أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام التي تعتبر نظرية عربية أصيلة جاءت لتبحث في القيم في الظواهر الإعلامية ، حيث اعتبر بعض الباحثين أن تسمية (الحتمية) جبرية وتقلل من حرية تناول المواضيع بكيفيات مغايرة ، إذ يرى (عزّي، 2016، صفحة 21) أن الحتمية تعني اعتبار القيمة المحرك الأساس في فهم الظاهرة الإعلامية بمكوناتها (المرسل ، الرسالة ، الوسيلة ، المتلقي) وتأثيراتها على البنيات الاجتماعية والثقافية في سياق حضاري معين ، فالمرسل يحتاج الى (خلفية) وتكوين (قيمي أخلاقي) حتى تكون ممارسته الإعلامية قيمية أخلاقية ، فكل قرار يتخذه المرسل أو المؤسسة الإعلامية في مقاربة الواقع في أصله قرار ذو طبيعة قيمية أخلاقية أما الرسالة فأصلها كلمة قيمية " ألم ترى كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طية أصلها ثابت وفرعها في السماء" ، والمتلقي يتفاعل نظريا – وعندما يكون واقعه سويا _ بناء على مرجعية قيمية أخلاقية ويكون تأثير الاعلام على المكون الاجتماعي الثقافي بناء على اثر تلك الوسائل على النظام الأخلاقي والحضاري ككل .

الخاتمة

يعتبر الخطاب القيمي في الدراما التلفزيونية من أهم الأنواع الاتصالية التي تحدث أثرا على قيم الأفراد والمجتمعات حيث تأتي الرسالة الفنية في قالب مدروس ومحكم يراعى في بناءها الصور الذهنية والجمالية مما يجعلها في مستوى عال في احداث التغيير المطلوب ، والنسق القيمي في المنطقة العربية والجزائر تحديدا هو معرض لهذا التغيير الذي ينشد له القائمون على الدراما ، كما وردناه في موضوعنا ، ويبقى الهدف يختلف بينهم ان كان خلخلة النظام الاجتماعي دون مراعاة للمسؤولية الاجتماعية او التغيير الى الأفضل في واقع الانسان العربي بأساليب الآليات الإبداعية ، فالدراما في العالم العربي تؤكد على انها تعيش صراعا بين الحفاظ على القيم وبين تطورها في صورها الإبداعية لذلك هي ملزمة أن ترسم سياستها نحو خلق متخيل فني قيمي وابداعي في سياق واحد ، كما أن الدراما الجزائرية لا تزال في حالة ارتباك ، لكن أيضا عليها اقتحام هذا الصراع بحذر شديد ولا يتوجب الاكتفاء بما تولده قرارات السياسة ، و ان تدرك أن الدراما التلفزيونية هي أحد أهم الفنون المؤثرة التي يجب ان تستغل في أداء رسالة الوعي ووسيلة

لبناء القيم الإنسانية ، ولا شك أن الأمم والحضارات الراقية تحتفي بالفن عموما وبإبداعاته كوسيلة سامية لبناء مجتمعات واعية تجعل منها رافدا من روافد ثقافتها وركنا من اركان بناء هويتها من خلال توفير أعمال فنية تشكل مرجعا قيميا مقابل التدفق الغث للمواد الإعلامية ، ولا يشترط ذلك في الإخلال بالمرجعيات التقليدية للمجتمع طالما ان الفن مستقل عن أي ايديولوجيات ليحقق بذلك ابداع قيمي، ولا معنى لأي ابداع دون قيم لأن هذه الأخيرة تمنح العمل استقامة ومعنى .

قائمة المراجع

المؤلفات بالعربية

1_اسماعيل عبد الحافظ. (2015). استراتيجية الاتصال الثقافي في دراما المسلسلات التلفزيونية العربية : دراسة تحليلة مقارنة . عمان-الأردن: دار غيداء .

2_ ألكسندرو روشكا ،(1978) ، الإبداع العام والخاص ، تر: غسان عبد الحميد أبو فخر ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

3_ حسن عماد مكاوي وليلى حسن السيد ،(2002) ، الاتصال ونظرياته المعاصرة ، مصر ، الدار المصرية اللبنانية.

4_ طه أحمد الزيدي ، (2010) ، المرجعية الإعلامية في الإسلام : تأصيل وتشكيل ، مركز البصيرة .

5_ كارول جومان ، (2010) ، الابداع في العمل دليل عملي في التفكير الإبداعي ، تر: باهر عبد الهاي ، لبنان ، مؤسسة الريان .

6_انجي الحلواني حسين ، و محمد مهني. (1999). مقدمة في الفنون الإذاعية والسمعبصرية . مصر: مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح.

7_ موريس آنجرس ،(2006) ، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، تر: بوزيد صحراوي وآخرون ، الجزائر ، دار القصبة للنشر .

8_ مروان عبد المجيد إبراهيم ، (2000) ، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ، الأردن ، مؤسسة الوراق .

9_ محمد عبيدات وآخرون ، (1999) ، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات ، الأردن ، دار وائل للنشر.

10_ سامية أحمد علي ، (2009) ، أسس الدراما الإذاعية (راديو وتلفزيون) ، مصر ، الدار المصرية اللبنانية.

11_ عادل النادي ، (1987) ، مخل الى فن كتابة الدراما ، تونس ، مؤسسات عبد الكريم عبد الله

12_ عبد الرحمان عزي ، (2016) ، نظرية الحتمية القيمية في الاعلام ، تونس ، الدار المتوسطية للنشر.

13_ عبد الرحمان عزّي ، (2016) الجواب الكافي حول نظرية الحتمية القيمية في الاعلام ، تونس ، الدار المتوسطية للنشر .

14_فاديم روزين ،(2011) ، التفكير والإبداع ، تر: نزار عيون السود ، سوريا ، الهيئة العامة السورية للكتاب.

المقالات

15_بن كعبة محمد ومسعودي أحمد ، (2018) ، سوسيولوجيا القيم : قراءة في علاقة القيم بالفعل الاجتماعي ، مجلة الرواق ، المجلد 04 ، العدد 01 ، الصفحات (182_189) .

المؤلفات بالاجنبية

16_Rocher Guy,(1982), Introduction a La Sociologie Générale, Canada ,L Action Sociale, Edition HMH .

مواقع الانترنيت

17_مسعود بوحسين. (23 06, 2015). الفن وصراع القيم . تم الاسترداد من جريدة هيسبريس: .htm267806https://www.hespress.com/writers/

18_ميسون برغل . (30 03, 2018). ، أهمية المرجعية في حياة الانسان. تم الاسترداد من نسائم الشامhttps://naseemalsham.com/subjects/view/57739:

19_نجيب نصير . (22 12, 2009). حدود المسموح ...الرقابة ومستقبل التلفزة (ورقة بحثية مقدمة لملتقى الدراما السورية الأول). تم الاسترداد من https://www.startimes.com/?t= 20976996

20_ السياسة وليس المال وراء إيقاف انتاج مسلسلين بالشراكة بين تركيا والجزائر ، جريدة أحوال تركية ، نشر يوم : 23_04_2018 ، متاح على الموقع : https://ahvalnews.com/ar